

الإعلام بين الذوق والواجب

هذا المثلث متفاعل بتمام اضلاعه وإذا فقد واحد منهم توقف الحدث وخمدت الأهمية وانمسخ التاريخ ولكن الإنسان يتميز في هذه المعادلة بخصوصية الاختيار على الأغلب فهو المعنى بالتغيير وهو المستطيع على تطويع الأرض وكتابة الاحداث وهذه القدرة هي الهم الذي نزل به ادم من الجنة حيث تغير منهج العبادة من الالتزام بعدم تناول ثمرة شجرة بعينها إلى مصاديق الابتلاء بالعبادة أمرا ونهيا وتفكرا واعتقادا. {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ} {البلد4 إن ما يواجهه الإنسان في كبد الحياة لهو الهدف للتمحيص في قابلية العبادة وقدرة الإطاعة للخالق جل وعلى {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} {الذاريات56 ومسايق الأقران لأخذ قصب التميز القربوي الشريف , وبالفطرة الإنسان يعلم بأن يكون أكثر قربا من الله حتى يكون أدنى من الكمال وأتم تنفيذا لمغزى الوجود فيتحصل على الرحمة المرصودة كهدف للخلق {إِلَّا لِلَّهِ مَن رَّبُّكُمْ وَإِلَىٰ إِلَهِكُمْ كَلِمَاتٌ كَلِمَاتٌ رَبِّكُمْ لِأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِّنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ} {هود119 وبرغم العلم المسبق لنا بهذه الأسباب الحقيقية لوجودنا بأنا مبتليين بالطاعة لاستحقاق الرحمة إلا ان الكثير منا يسهو وينسى ولا يتذكر في خضم النزاع مع النفس هذه الأهداف وينزوي خارج القاعدة إلى إشباع الشذوذ في عبادة الأنا وإطاعة النفس الأمارة بالسوء {وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا لَوَّامًا رَّحِيمًا رَّبِّيَ إِنِّي إِذْ نَفَّسْتَنِي فِي نَفْسِي وَإِنِّي لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا لَوَّامًا رَّحِيمًا} {يوسف53 ومن تمام الرحمة والحجة التامة في الدين أن رسمت وفصلت مسالك مشرعة وواضحة للنهوض بمداواة الضعف البشري وتبصيرهم وتذكيرهم بسبب وجودهم في هذه الحياة الدنيا فكان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر {وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} {آل عمران104 ودور الإعلام هو دور مهم بل رئيس وفاعل بحسب نوعه وتخصصه في نقل المعلومة المحملة بالمعنى المؤثر والمانع للموقف والمعزز للقدرة في النهوض المقصود نحو الإصلاح في الأمة.

قد يُتسأل عن أن الإنسان بما هو فرد مسئول بمباشرة الممارسة الذاتية في زجر نفسه أو حثها فما بالناس نفتح منفذا لتعاطي وتبادل التأثير الدعوي والذي قد يذهب بالحرية الفردية ويمحق القدرة في ممارسة الهدايه بشقيها الإيجابي والسلبي ؟

بالحقيقة هذه معاناة تصاف إلى كبد (من مكابدة) الإنسان فاعلا أو متلقيا لتمحص القدرة بين الاندفاع

الشهوي والإطاعة العقلية هما سبلان بين أن يجتاز المجتمع بأفراده وبجمعة حالتي الشكر أو الكفر لما في شرط التأثير والجمعي وقوة التكيف والذويان البشري البيئي والتناصح الفكري والحاجة للعيش في مرمى التعارف وشرط الأانس والتكامل المدني المهني والفكري .

الواقع ألاجتماعي إذا متأثر بالطبع بالتغيرات الفردية المنعكس عليه كمجتمع فكل وحدة اجتماعية تنتج وتأخذ التأثير والتأثر فليس المجتمع بمعزل من نتاج الفرد وليس الفرد كذلك محصور بعيدا عن موجات التأثير الجمعي وهنا يقف الإعلام ويزرع قدرته التوجيهية المهمة في صياغة شكل المجتمع وماهية توجهه .

الحالة الإسلامية هي الساحة التي سبقت في رسم قانون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجعلته حالة قانونية ورسمية ولكنها جعلت في بعض الحالات من أفراد هذا السلك فئة منظورة ورفيعة الشأن وهذا له أثره السلبي كما له الأثر الايجابي على أننا نحتاج عادة إلى الإعلام في ممارسة دور الامر والنهي لمحاولة الفرصة لمنع مرض التسلط ودكتاتورية الفرد بشكل نسبي ولو أن هذا المرض يتسلل بشكل ذكي حتى على الأعلام وقد يمارس دورة الخفي بليل لذلك نلاحظ الآية الشريفة تأمر بـ {وَلَا تَكُونُوا مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} آل عمران 104 ومعروف أن دور المجموعة اكثر احتمالية واقرب لمنع التحكم والتسلط الفردي باختلاف التشخيص برغم وحدة الهدف.

نرجع لموضوع الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لنستجلي حظه في تصحيح المسار الجماهيري لكي ننعطف بعد ذلك لتحسس مكانة الإعلام في هذا المشروع الإلهي الشريف بجميع أجزائه سواء القسم الوقائي الذي يقوم به النخبة والحاكم عادة أو القسم التحريضي والحث للفعل الخير والتواصي بالمكرمات أو القسم البطولي بصناعة الأمثولة والقذوة الفذة, فكما أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من شأنه التدرج لمواكبة التصحيح بالقدر العادل والمنضبط حتى لا يزيد عن حدة فينقلب إلى ضده فلا بد له من مراتب واحدة تلو الأخرى يبتدئ من داخل القلب حبا وبغضا ويصل إلى الفعل الأمر والناهي مرورا بالقول والإعلام في نفس الوظيفة الشرعية والاعلام هنا يمثل المعالجة الجماهيرية المسائرة للمعالجة الفردية في الداخل أو الخارج حيث أن الجهاد الأكبر هو جهاد النفس أولا وتترقى درجاته بخطوات مترتبة الأولى فالأولى , كل ذلك يجب أن ينبع من دور التعبد □ وبعيدا عن فرض الذات أو صناعة الفوائد الأنانية , رجوعا إلى الأعلام الذي صار معلوما بارتباطه الوشيع مع أحكام الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ودوره في معالجة جماعية في درجة القول المؤدي إلى الشعور القلبي والتأثير على العمل باليد في آخر المطاف ولكن هناك احتمالية من صرف الإعلام في مسارب التيه ونشره في الخط المعاكس تماما للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من جهة أو من المصادرة على المهمة الرئيسية النوعية باستخدامه وسيلة

لخدمة الأنا او الحزب او الكتلة وبشكل رئيسي قد يحرفه عن الهدف المرجو من خدمة الإنسان في توجيهه لهدف وجودة ليعبد الله ويستحق رحمته فيصير بابتعاده عن الهدف في ابسط الأحوال لممارسة ذوقية مترفة وغير رسالية هذا عدى عن الاحتمال الأخطر كما أسلفنا من توجه الإعلام لإضافة معاناة ومكابدة في طريق العيش للأمة وتكبير قدراتها ونزح مشيئتها للمتسلط الممتلك لأجهزة الإعلام ووسائله المؤثرة ونحن نلاحظ تهافت السلاطين على سجن الحركة الإعلامية في قبضة المتسلط لعلمهم بخطورة دور الإعلام على مشاريعهم الاستحواذية وخاصة إذا كان هذا الإعلام ذو مصداقية أكيدة وحرية شامخة وإذا حصل أن الإعلام في اسر هؤلاء المستبدين كما هو اكثر إعلامنا اليوم فسيبقى الخط الأول لدى الإنسان المدعم بالفطرة والعقل والتميز {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا}7{فَأَلَّهَمَّهَا هُجْرًا وَنَجْوًا وَهَذَا {الشمس} ليقاوم هذا الإعلام المسخ ويقف في وجهه بالقلب ثم اللسان ثم اليد ولا يستسلم لفئة الإعلام السلطاني فهم كما وصفهم القران الكريم الإنسان3 {وَأَنزَلْنَاهُمْ لِيُصَدِّقُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَأَلَمَّا أَتَوْا نَسَبُوا بِهَا مَا كَانُوا مِنَ الْكُتَّابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ} النساء44

وتبقي حرية الإنسان وكرامته في التعبد لله بطوع أمرة امام البطش والقوة لمن يمتلك الوسيلة إذا كان يبعده عن التوجه الحر ويعيقه من مشروعة الذي خلقه الله له ويعتمد على الهدايه الربانية فهو وحدة المسئول بالأخير وهو من يؤثر في الأمة ويتأثر بقدرته وإرادته مهما كان الكبد وكانت المعاناة {إِنزَّاهَدَّيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا} فكلما كان الإنسان حرا وكلما زاد تعلقا بالله منع فرصة المستكبر والمستحود في فرد ظلال الضلال ومكشفة بنور البصيرة ونهى النفس والناس والسلاطين عن الهوى.